وفاء النيل والنيروز

(٢) النيروز

النيروز او عيد رأس السنة المصرية هو اول يوم في السنة الزراعية الجديدة ويقع في اول توت الذي هو اول شهر من الشهور القبطية(١)

والنيروز او النوروز لفظة مركبة من كلمتين نِي او نو ومعناها بالفارسية(٢) الجديد وروز معناها يوم اي اليوم الجديد وقد جرت هذه اللفظة الواحدة بسهولة وتعربت من عهد بعيد وقصد منها عيد رأس السنة الجديدة عند المصريين

ومن المفهوم ان اغلب اللغات الاوربية آرية وترجع الى اصل شرقي واحد فلا عجب ان رأينا لفظة نِي او نو قد اخذها الغربيون للدلالة على الجديد الحديث فقالوا في الفرنسية Neuf والانجليزية New والالمانية Neue والطليانية Nove الخ

واذا كان المقصود هنا هو النيروز القبطي اي المصري فانما يراد التمييز بينهُ وبين النوروز الفارسي . وقد عرب هذا اللفظ واشتق منهُ فعل نورز اي عيد ذلك العيد وتشبهوا في الترنم واللهو بالاشعار والغناء

ويذكر ابو العباس القلقشندي مؤلف صبح الاعشى في صناعة الانشاء نقلاً عن ابن المقفع كما ذكر الجاحظ في مؤلفهِ المحاسن والاضداد انهُ كان من عادات الفرس فيهِ ان يأتي الملك رجل من الليل طلق الوجه زلق اللسان فيقف على الباب حتى يصبح فاذا كان الملك وقد لبس زينتهُ ولزم مجلسهُ ، يدخل عليهِ من غير

(١) السنة القبطية الحالية هي بدايتها السنة المصرية القديمة الفرعونية بشهورها وترتيبها والمصريون اول من قسم الزمن وحسابه تعليقاً على قاعدة وصول النيل في اوج فيضه العميم الدوري الى اعلاه وهذا يقع في اثناء شهور توت وكان الاحتفال به و عصر الفراعنة فالفرس واليونان والرومان في معبد الاقصر (طيبة) موكب الكرنك حيث يخرج حملة مركب آمون من الكرنك الى الشاطىء الغربي وهي باقية الى الآن عند اهل الاقصر تحت اسم مركب ابو الحجاج وتوضع على عربة كبيرة يجرها الرجال ويطاف بها حول مسجد ابي الحجاج الملاصق ضريحه لمعبد الكرنك فيطوف بها مسلمو الاقصر وغيرهم من اهالي لوحه القبلي في الشوارع المحيطة بالمسجد ومعبد الاقصر الفخيم يوم ١٣ شعبان ويرقصون ويغنون بأبي الحجاج وكراماته وانه هو ولي الاقصر الحارس لها

(٢) يقول القلقشندي في صبح الاعشى ان اول من اتخذه جم شاد او جمشيد احد ملوك الطبقة الثانية من الفرس والفرس فيه آراء واعمال على مر طلحهم وتعليلات الاحتفاظ به

استئذان ويقف قدامه حيث يراه . . . الى آخر ما يلي بعد من العبارة المتشابهة التي وردت في تاريخ مصر لابن اياس المسمى بدائع الزهور في وقائع الدهور صحيفة ١٩ من الجزء الاول في وصف الاحتفال بالنيروز القبطي تخصيصاً اذ قال :

وكان من اصطلاح ملوك القبط في يوم النيروز وهو اول يوم من السنة القبطية ان يأتي للملك رجل في صبيحة ذلك اليوم ويدخل عليه بغير اذن ويكون ذلك الرجل حسن الوجه حسن الشباب طيب الرائحة فصيح اللسان فيقف بين يدي ذلك الملك بحيث انه يراه فيقول له الملك من انت ومن اين اقبلت والى اين تريد وما اسمك وما معك ولاي شيء وردت. فيقول الرجل انا المنصور واسمي المبارك والى الملك السعيد اردت وبالهنا والسلامة وردت وبالعام الجديد قد اقبلت

ثم يجلس بين يدي الملك ويرد بعده رجل ومعه طبق من الفضة وفيه قمح وشعير وفول وحمص وبسله وعدس وسمسم وقطعة سكر ودينار ذهب ودرهم فضة ضرب ذلك العام الجديد وطاقة آس فيضع ذلك الطبق بين يدي الملك ثم يقدم الى الملك رغيفاً قد صنع من تلك الحبوب السبعة فيأكل منه الملك ويطعم من حوله من ارباب الدولة ثم يدخل عليه الوزراء والحجاب وعمال الخراج ثم بقية الجند على قدر مراتبهم

« ثم يقول الملك هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد فنحتاج ان نجدد فيه ما اخلق الزمان ثم يأمر بان يفرق ما في حواصله جميعاً من ملابس ومن فرش على جنده ثم يجدد غيرها ويقول ما من اخلاق الملوك ان يساووا العامة في افعالهم ويدخروا في حواصلهم كسوة الصيف الى الشتاء ولا كسوة الشتاء الى الصيف . انتهى ذلك . واستمر القبط على ملك مصر يتولاه واحد بعد واحد الى آخر من تولى منهم وهو المقوقس اه بحروفه

والظاهر ان هذا العيد قد نقي من احتفاء الحكومة به ما نقي مثلاً عيد قطع الخليج لانهما كليهما يرمي الى التبرك بالفيض العميم فلا غرو ان اهتم به الخلفاء الفاطميون ايضاً وجعلوه من الموسم والبطالات الرسمية لتتسع بها احوال الرعية وتكثر نعمهم وتحل تقاليدهم

واليك ما يقول المقريزي عند ذكره الايام التي كان الفاطميون يتخذونها اعيا

ومواسم : كان النوروز القبطي في ايامهم من جملة المواسم فتتعطل فيهِ الاسواق ويقل فيهِ سعي الناس في الطرقات وتصرف فيهِ الكسوة لرجال اهل الدولة واولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز واصنافها البطيخ والرمان وعراجين الموز وافراد البسر اي البلح قبل ان يصير رطباً واقفاص التمر القوصي واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضان ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برمارق . وكان في ذلك اليوم يحضر الخليفة كاتب الدفتر لاثباتات ما جرت بهِ العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها وغير ذلك من جميع الاصناف وهو اربعة آلاف دينار وخمسة عشر الف درهم فضة والكسوة عدة كثيرة من شقيق ديبقي مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب شاومات ملوكات وشقق لاز مذهب وحريري ومشقع وفوط ديبقي حريري فاما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزهُ القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب واما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والتمر والعناب والهراس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم في ذلك جميع الامراء ارباب الاطواف والاقصاب وسائر الاماثل ويوقع الوزير على جميع ذلك بالاتفاق »

ولعل الاعتداد بتوت واعتبارهِ رأس السنة المصرية انهُ اله الحكمة ورب القلم عند قدماء المصريين كما كان يسمى اليونان جوبتر او المشترى في الميتولوجيا اليونانية او رئيس الهتهم وعند كل امةٍ قديمة لعهدها الوثني

ولقد يبلغ النيل في هذا الشهر اقصى حدهِ للزيادة اذ اعتمد المصريون في تقسيم سنتهم الى ثلاثة فصول زراعية مدة كل فصل اربعة شهور وهي :

الفصل الاول الزراعي وهو توت وبابه وهاتور وكيهك

الثاني الحصاد وهو طوبه وامشير وبرمهات وبرموده وفيهِ التحاريق

الثالث الفيضان في بشنس(٢) وبؤونه وابيب ومسرى وخمسة ايام النسيء او الشهر الصغير في السنة البسيطة وستة ايام في السنة الكبيرة

(٢) قالوا في عبارات عامية مرتبة على الشهور القبطية من شهر بشنس يكنس الارض كنس اي ان يكون الحصاد فيه تاماً ولا يتأخر حصاد اي زراعة عن هذا الشهر

To: www.al-mostafa.com

والذي يهمنا الكلام فيهِ هنا للمناسبة هو الاخير او (فصل الفيضان النيلي) « الدميرة » الدوري تقريباً بارتفاع المنسوب ومعرفتهُ تؤخذ من المقاييس الموضوعة لذلك من البلاد السودانية وفي جزيرة اسوان قديماً حتى مقياس القاهرة في جزيرة الروضة المعروفة ايضاً بالمنيل ولذلك اشتهرت باسم الروضة والمقياس لهذا السبب

وقد يتنفس النيل بالزيادة كما يقولون تعارفاً في بؤونه ويحتفل بعيد النقطة الذي يقع في ١٢ من هذا الشهر ويظل طول شهري ابيب ومسرى والزيادة مستمرة ويطوف المنادون المبشرون بها انتهاجاً ليدخلوا على قلوب الاهالي البشرى بالوفاء والسرور بحياة بلادهم وهي عادة تقليدية تستلزمها العادات الاخرى التي اتخذوها وتناقلوها ويتوارث المنادون هذه المهنة بعوائد مقررة وتعلن مقادير الزيادة يومياً على السنتهم مع دعوات لعليفة يرددها صبية صغار او بنات تسمى عرائس النيل مع طبول وزمور في ايام معلومة كايام ما قبل جبر الخليج والنوروز وعيد الصليب

ونقل عن ابن زولاق في سنة ٣٦٣ هـ « منع امير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النيروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز »

وقال في سنة ٣٦٤ هـ « وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة ايام واظهروا السماجات والحلى في الاسواق ثم امر المعز بالنداء بالكف وان لا توقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فحبسوا واخذ قوم فطيف بهم على الجمال »

وقال ابن ميسر في اخبار مصر (٣) في حوادث سنة ٥١٦ هـ « وفيها اراد الآمر باحكام الله ان يحضر الى دار الملك (في النوروز) الكائن في جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليهِ الافضل ابن امير الجيوش فاعاد المأمون (عبد الله البطايحي) عليهِ انهُ لا يمكن فان الافضل لا يجري مجراهُ مجرى الخليفة وحمل اليه المأمون من الثياب الفاخرة برسم الجهات ما لهُ قيمة جليلة »

وقال ابن المأمون « وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة ٥١٧ هـ ووصلت الكسوة المختصة بهِ من العراز (الموضع الذي تنسج فيهِ الثياب الجيدة

(٣) يقول ان ايام هذا العيد كانت ثلاثة تشمل مدى مصر وقراها وكان الخليفة يحضر الى دار الملك في النوروز في المراكب كما فعل ايضاً الافضل ابن امير الجيوش في شاه ش ه

وثغر الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسواذج واطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء اربابها واصناف النوروز الخ

وقال القاضي الفاضل في تعليق المجددات سنة ٥٨٢ هـ (٤) « وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيهِ هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر بهِ في الطريق رش بمياه نجسة وخرق بهِ »

وما زال يوم النوروز يعمل فيهِ ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها الى ان كانت اعوام بضع وثمانين وسبعماية وامر الدولة بديار مصر وتدبيرها الى الامير الكبير برقوق قبل ان يجلس على سرير الملك ويسمى بالسلطان فمنع من لعب النيروز وهدد من لعبهُ بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيئاً من ذلك في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه . بعد ما كانت اسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيهِ من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والمهور وقلما انقضى يوم نوروز الا وقتل فيهِ قتيل او اكثر ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضي ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عملهُ »

وقال ايضاً في تعليق المتجددات لسنة ٥٨٤ هـ « يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان عصر في الايام الماضية والدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيهِ والفواحش صريحة في يومهِ ويركب فيهِ امير مرسوم بامير النوروز مع جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم زينة على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير وينتدب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويتجمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبايديهم الملاهي وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شرباً ظاهراً بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء

(٤) سنة ٨٩٣ للشهداء

مروحاً بالاقذار فان غلظ مستمر وخرج من دار ولقيهُ من يرشهُ ويفسد ثيابهُ ويستخف بحرمته فاه. فدى نفسهُ واما فضح ولم يجر الحال في هذا النوروز على هذا ولكن قد رش الماء في الحارات واحيا المكسرات في الدور وارباب الخسارات .

ولا خلاف في ان حساب السنة القبطية او التاريخ الموفي هلل تاريخ الزراعة وموافيها كما كان تاريخ البلاد المصرية اجيالاً طويلة لا يعرف الحكام سواهُ ولا يعول الاعيان والمزارعون حتى عامة الاهالي الأعلمية في اعمالهم خصوصاً الزراعية التي عليها مدار رزقهم ومصدر خيرات البلاد . وظلت الحكومة المصرية تشارك جمهور الاهالي في اقامة الاحتفالات الرسمية احتفاء بحلول رأس السنة الوطنية بصرف النظر عن اختلاف الجنس الموهوم بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة وسارت على تلك القواعد ولكن قد طرأت على تلك الاحتفالات بعض العادات من الرعاع كالتراش بالماء والتراجم بالبيض والتصافع بالجلود مما ادى لمنعها ورجوعها بحكم العادة مراراً وتكراراً الى ان امر السلطان برقوق نحو سنة ١١٠٠ للشهداء بمنع لعب النيروز في القاهرة واقتصر الامر على التبرك بالماء في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه كما يحصل الى اليوم في بلاد الوجه القبلي مثلاً في نقاده من احتماع اغلب الاهالي باولادهم ونسائهم ومواشيهم ونزولهم صباحاً في الفجر الى النيل ويخرجون بكل بساطة لا فرق بين مسلم ومسيحي الا ان كان الاخير يتوجه توًّا الى كنيستهِ مقدماً صلوات الشكر على انتهاء العام القديم واستقبال عام جديد يرجو ان يكون خيراً وبركة على الجميع كما جرت العادة ايضاً عند عرفاء الكتاتيب القبطية من عمل « نواريز » وهي لوحات على افرخ ورق الكتان بطولها ترسم بالالوان بصور النخيل والبلح والموز . وتكتب في الوسط دعوات وصلوات تيمناً وبركة ويفرقها العرفاء على التلاميذ الصغار بقصد الاستهداء على العيد . جرى كل ذلك الى عهد قريب قبيل انتشار المدارس فبطل تدريجاً وحدة الاحتفالات بالنيروز

والمتعارف لليوم ان وفاء النيل والاحتفال بهِ سابق لعيد النيروز فاذا لم يمكن الاحتفال بهِ ولم يكن مناص من التوحيد والجمع بينهما بالتقديم والتأخير ونقل احد العيدين الى الآخر لمطابقتهِ للثاني كمشروع وزارة الاشغال في توحيد العيدين — فلا يمكن تطبيق ذلك الا على تاريخ الوفاء اذ انهُ عيد غير ثابت وفي

ريخ غير معين تماماً بما انهُ تحت تصرف الحكومة وكان دائماً يتقدم ويتأخر تبعاً زيادة بخلاف عيد النيروز الذي يقع في تاريخ ثابت وهو يوم اول العام المصري حسابها الزراعي وما دام ارتباط العيدين بالنيل كما تبين في زيادتهِ ووفائهِ وفيضانهِ المعقول ان الغير ثابت يتبع الثابت فيتأخر عيد الوفاء الى النيروز وعندئذ يكون سم العيد عيد النيروز والوفاء احتفاظاً بالتقاليد الاولى من القدم الى الآن بلا عنى لفارق من الفوارق

ان المتتبع لتاريخ يوم عيد وفاء النيل يجد انهُ يحدد عادة في النصف الثاني من شهر اغسطس من كل سنة فالفرق بين ذلك ويوم النيروز الذي يقع في ١١ سبتمبر هو عشرون يوماً وهي مدة قليلة يمكن التجاوز عنها في سبيل توحيد العيدين وتنفيذ غرض الوزارة

توفيق اسكاروس

الصناعات في سوريا ولبنان

(٦) الطرق والسكك

يظهر من النظر في جغرافية سورية ان الاماكن المهمة التي تقدم الكلام عليها متصلة كلها ببيروت بطرق تسير فيها المركبات بل ان بعضها مجهز بالسكك الحديدية وعلى كلٍّ فان بعض المناطق الشمالية التي لا تقل عن تلك شهرة في وضعها اوتجارتها لم تزل خالية من طرق المواصلات ولا ريب انها تعود غاصة بالزوار رائجة الحال لو امكن تسهيل السفر اليها بالمركبات والسيارات مثال ذلك الكفرية والكلبية وصهيون من جبال النصيرية وكذا قرطبة وتنورين واللقلوق من لبنان حيث الارتفاع ١٧٠٠ متر عن البحر وقد ذاع صيته لطيب هوائهِ وجفافهِ وجمال مناظره وعذوبة مائهِ وغنى مراعيهِ فهو الموقع الكمالي لانشاء مكان استشفاء على نمط ما في ليزن او داموس وفوق ذلك فكثيرون من المصدورين شفوا عقب تمضيتهم فصل الصيف في هذا المكان الممتاز من الوجهة الصحية

يبلغ طول الطرق السورية في الوقت الحاضر ٢٠٠٠ كيلو متر منها ١٥٠٠ في لبنان الكبير وهي جميعاً ان ضربنا صفحاً عن بضع شواذ قد انشئت قبل ان